قراءات نقدية في سيدة الفجر

جبار الكواز من زرع زيتونة عمره في البصرة

الاستاذ الدكتور صدام فهد الاسدي

كلية التربية للعلوم الانسانية ٢٠١٧/٢/١

اينطلق الشعر من الكواز عفويا كما تنطلق الاوراق من الشجرة ؟ أتتصارع فضاءات الكواز مع اللغة ام الوجود ؟ أيمتهن الكواز سباقاً ويحمل سوطه على فرسه الجامح ؟ ايستسلم الكواز للتقنية وهواجس الروح ؟ أيفر من غنائيته ام يدور في افلاكها بين الحين و الاخر ؟ بعد تلك التساؤلات دعني افترض كونا شعريا لشاعر لا يغرز اصابعه في التراب ، ولا ينتقي تجاربه من فراغ ، الكلمة عزيزة عنده تبث ضوءها في المكان الذي تبزغ فيه ، شاعر يتحدث عن وطنه واهله وتراثه دون ان يلبس قبعة الغرباء ، ولا يتخبط في الغرابة المرفوضة ، شاعر لا تجف لغته فكلما قطفت من بستان شعره وردة رأيت لها لونا وشممت لها عطرا ، لكنها توضع في اناء الشعر ولا تتقيد قصائده بمعمارية محددة بل تنتقل من خرائط تدهش المتطلع وتدعوه لتشخيص فضاءاتها و استدراج تداعياتها ، انه شعر مضاف الى شعريته ، قرأته قبل عشرين عاما في (سيدة الفجر) وتأملت تقاسيمه المتنوعة ووضعت ملاحظاتي بالقلم الرصاص منتظرا عطاءه الثاني ، وجمعتني بغداد بالشاعر عام ١٩٨١ للسفر الى مهرجان شعري في (قطر) وعندما الغيت السفرة سجل في دفتري عندما رآني يائسا متحسرا (كن جنديا فذا للدفاع عن الحقيقة) فكان هذا القول اهداءا للشاعر في اطروحتي للدكتوراه عن البصرة وقد درست للشاعر قصيدتين للبصرة و السياب ، قال الكواز في السياب :-

(يا جزر الخليج

اختبأت جيكور خلف الجوع و المطر)

وقال مخاطبا البصرة

(فارفع صوتك

ارفعه كبر

فالأفق يتوسل البصرة جرح هوى وصلاة)

وفي رجل من طراز خاص كانت البصرة ايضا ،

(ما بين عيونك يستيقظ شعب البصرة و الاطلس مفتونا ما بين عيونك يولد فجر الاطفال) .

هل الفجر ، هل الوطن الممتد من البصرة حتى الاطلس وتداعت اسوار الموت ، وعندما اشتد اوار الحرب قال الكواز للبصرة وهو يحرس خنادقها :-

(بعدك صعب ، قربك صعب

يؤسرني حزن اذ ارحل عنك

ابكي بغناء واغني ببكاء)

وفي ذاكرة الخندق عام ١٩٨٧ عاد ليقول للبصرة

(يرتحل الفجر الى البصرة فرحا

كصبايا

كالبحر اذا جاءت سفن الله من الفتح)

و البصرة كانت تتمنطق في ثوب العرس وتزرع في عينيها فوق الافق

تعانق نخلتها و الشط) ويقسم الكواز بصولات البصرة قائلا :

(و الفجر وصولات عشر ، ودم في شرق البصرة يسري)

وما اروع ما اطلقته الشاعر على البصرة حين قال :-

(مدينة في الفجر تحملها الحراب

وترتدي من وجهها لغة الجنود)

وما ابداع غرسه الزيتوني في ارض البصرة ، ذلك الغرس الذي شب ونما شجرة كوازية تجاور السياب على الشط)

أغرس زيتونة عمري في ارضك واغني

ماذا

البصرة فيها يحترق العمر ؟

٢- ومن مرايا الكواز رموز الشهادة التي مثلها سيد الشهداء في كربلاء واشارة الى (قربة) اخيه العباس

(وانكفأ النخيل و العراق انذاك

حتى الفرات انحبست موجاته وارتفع الاذان و انهمر الحسين مزنه تعانق السيوف و الخيام فأنبثق العراق سدرة جذورها الحسين و الشهادة

وقوله :

(عباس احذر لغة الاعداء ! هذا الفرات امرأة قد رعبت حياتها

وهذا الفرات قربة و الطفل اضناه البكاء)

٣- ومن مراياه (بابل) وشنعار ، بابل الام و الوطن و الخيمة و المهد و الطفولة .

(بابل احملي جرحك سيفا

ابعثي لغتي نخلا وامالا جديدة سمري عينيك في قلبي

امنحيني غفوة

اسيل فيها وجهك المشرق في صدري

وكانت شنعار من استرجاعات ذاكرته قائلا)

(فانفتحت بين يدي هموم الماء

وشعار يلوح)

وتأهب لبابل وهو يرى انياب المغول :-

(عاد المغول فيا دمى اسرج لبابل

شعلة من خيل اهلي

يحملون سيوفهم فجرا لثاما)

٤- العراق اغنيته الاولى والاخيرة وقيثارته الخالدة :

(استستفح الوطن

اغنيته

مطلعها العراق

ختامها)

٥- وكانت رموزه المكانية (بغداد ، دمشق بيروت ، لبنان ، وهران) تتألف كلها بلغة عالية :

(هل الوطن الممتد من البصرة حتى الاطلس

وتداعت اسوار الموت

فبغداد هي السيف الابهى

بغداد هي الفارس والجند)

(هذا القالب النازف في يثرب

ينزف هذي اللحظة في لبنان)

(النفط حليب الاثداء

دمشق تجئ عروسا لفتح كل الطرقات)

٦- الرافدان دجلة والفرات ضمن رموزه الخالدة :

(ما ابهى دجلة ! وما ابهى البحر فوق الشارع هذا المتبرع بالدم)

(ومن ضفائر الصبايا

ومن دموع دجلة يمسحها الفرات

(فوق رأسي الحلم المعري لا تفارقه السعادة

النهر الفرات اذا راي جنحاً لساقيه يؤوب)

ان المدينة عند الكواز تآلف وانتماء وليس رفضا وتمردا ضديا ، انها تعطي دون ان يسألها الثمن انها فردوسه المضاء الذي يبدع له تأملاته وهواجسه ولم ينظر فيها يوتوبيا مفقودة وفراغات حلم .

٧- غناؤه للتأميم والقادسية وللجيش العملاق ...

(وطن التأميم جئنا ، من هنا تشرق شمس الوطن التأميم سيفا)

(وحدهم قاتلوا ساحة الموت كي يضعوا ساحة للحياة)

وثمة رؤى واضاءات فنية فيها الكلمات المنحوتة (بسمله)

(همسة وجد في بسملة القلب)

وبواعث لونية (**ايتها المدينة مدي يدا بيضا**)

وثنائيات دالة على التضاد والتقابلات المحورية والمرتبية منها

(سيصير لفرسه بيتي سقفا)

(بين الافاعي اذ تفح سمومها غدرا)

(يردتيه النهر حتى لا ترى من قطرة سواه)

(فأنا حين يجيء الموت اصير حياة)

(وثمة مجازات رائعة وكثيرة لا حصر لها)

(شط الموت ، ضفة الدموع ، قفص الماء ، غض الكلام)

وثمة صور دينية كثيرة

(لقيامة الشهداء كأس دهاق)

(ولا عاصم من جبل الريح سوى وطني)

(وهبت من فارس عاصفة تحمل عصفا مأكول)

٩- شخوصه الملتصقة بالرفض والانتماء منها صاحبه (الشاهر) .

(فما انت من يوقد الذاكرة

بغير ابتسامة حب)

والشهيد بارق

(سلام اذا جنح قلب وحط على منكبيك الخلود)

والشاعر مثنى

(مثنى الربيئة في شرفة الاحراق)

وقاسم حايف

(باسم وحده الجند الشهداء

المزهوين سلاما في ذي قار)

وبعد : ما يختار الكواز من ثوب ليلبسه

(وسأرتدي من وحشتى ثوبا يطرزه الفرات)

وما الصدى الذي يختاره ؟

(هذا الصدى انفاس من سمو الغناء

وعلقوا في جذره معنى الوطن).

١٠- الحكمة الرائعة المكثفة بدقة متناهية :-

(ومثلما يدري بأن الشراع اذا ما غفا مرة

تشبيه الرياح)

(اصحوا اخض اضلعي بالخوف

حتى ترتوي من العظام واذا دنا اجلي سأحضن اليه الذي اعليه يوما بالزهور)

مسك الختام :

اما ترى الكواز عفويا بلغة مهذبة ونقية ودافئة ينتقيها وهو يمتلك مهارة في رصفها وسياقاتها ، الا ترى الصور الشعرية طافية على مساحات القصيدة !! اما ترى اصابعه مغروسة في كل جذع شجرة يرسم بها قلبه ، وبكل ذرة تراب يدفن بها حبه ، وبكل رصاصة يحمي بها وطنه انه الشاعر الواضح الذي لا يخفي سرا بل قدم لسيدته الجميلة (بابل) حمامة روحة (الحرية) وحملها على اكتاف رجال من طراز خاص حرست الوطن في خنادق البارود والورود فعذرا ايها الكواز حين قاربنا بساتين شعرك ، ولعلي انصفك في مسك الختام واخرجك من قانون نزار قباني (نصف اشعارنا نقوش وماذا / ينفع النقش حين يهوى البناء) الا يستحق هذا الشاعر الكواز دراسة علمية لأحد الطلبة ان يدرس شعره كما دُرس الشاعر موفق محمد من شعراء الحلة ؟